الأعمـال الإبداعيـة الفائـزة فـى
القصـة القصـيرة جـداً

الوشاح الأزرق
وحبات التوت

قصص قصيرة جدا

د. نجوى كامل

الطبعة الأولى
الكتاب : الوشاح الأزرق وحبات التوت
المؤلف : د. نجوى كامل
تصنيف الكتاب : مجموعة قصصية
تصميم إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٥٢٥ / ٢٠١٦
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 174 - 1

دار يسطرون

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع

طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت -محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم
بريد إليكترونى : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى أبى

... وإليك

مابين عام مضى وعام يأتى وراءه

هكذا دنيانا ...أيام تودع أياما

و ذكراك فى الفؤاد لاتغيب ...

يوم رحيلك يقف عنده تاريخى إجلالا...

د. نجوى كامل

مقدمة

من شرفتى المطلة على الأمواج الآتية من بعيد، وتلك النسائم الباردة، أتناول فنجانى الصباحى من القهوة، أحيانا أرتشفه فى هدوء وتأمل، وأحيانا على عجل لألحق أشياء أو أحداثا.

ومابين الهدوء والعجلة، نقلب صفحات حياتنا نتأمل حكايات، ونتابع أخبارا تؤثر فينا ضحكا وحزنا ومرحا.

فمن شال حريرى يحمل بقايا عطر منثور ننسج قصة، ومن قطرات ندى على أوراق زهرة نرى وقائع قصة دارت هنا أو هناك بين اثنين او أكثر، قد أكون أنا بطلتها أو أنت أو هى أو هو،أحاول أن أخلدها بكلمات، وأعود لأراقب الأمواج وهى تخبئ بين طياتها ما تلهمنا به من قصص تشبهنا ونشبهها، وكما كانت تروى جدتى قصة لنا، أروى لكم بعضا من قصصنا لنتنفس الحب، وننثره على الطرقات فتملأ الفرحة القلوب.

نشوة

لايدرى لماذا ينتابه هذا الإحساس كلما تذكرها بثيابها المبللة وخصلاتها المتساقطة التى تكاد تخفى ملامحها وهى تقوم بأعمالها المنزلية ببيت جدته، كانت تردد أغنية، وتهتز مع كلماتها بأداء حركات ذات إيقاع راقص، توقظ مشاعره من غفوتها ويعلو صراخه الدفين.

كلما تمايلت أو انحنت ترمقه بعينيها وهو غارق بين نهديها، فتصيح: أخرج من المطبخ ياسيدى !!!

وتناديه جدته: ماذا تريد منها ؟ يجيبها وهو مازال هناك بين الخصر والنهد متسلقا بنظراته: كوبا من الماء .

قذيفة

فـى درب العتمـة كنـت أسـير عندمـا أطلقـت قذيقـة مـن عينيـك قصمتنـى إلى شـطرين: شـطر ركـض يتصـدى، والآخـر يركض و يحلم بقذيفة أخرى .

وردة اليتيم

أمسك بحجر صغير ينقش صورة لأمه على الجدار، يتأملها، ذهب وعاد يحمل لها وردة صغيرة تسولها من محل ورد، رآه مصور صحفى، التقط له صورة، فى المؤتمر منحوه جائزة مالية لإبداعه، وتركوا الطفل جائعا بلا مأوى يبكى بجوار صورة أمه.

على رصيف الذاكرة

فجأة تخلّى عن وقاره وهيئته الكاذبة عندما رأى ذاك الرصيف، قام بركله بغباء بمقدمة حذائه الفاخر، ثم تأفف متألماً، فسأله حارسه الشخصى بتعجب :

— ماذا هنالك سيدي؟ لمَ فعلتَ هذا؟!

— هذا الرصيف يذكرنى بشحاذ كان ينام ويقضى معظم وقته هنا .

— وما الضير فى ذلك ؟

فأجابه غاضبا : لقد كان أحمق.

وفى سره ردد: لأنه كان شريفا.

— وأين هو الآن ذلك الأحمق سيدي؟

أشاح بوجهه إلى الجهة الأخرى قائلاً:

— مااات، مات منذ زمن بعيد!

شَوْكُ الوردة

دخلت البيت تكاد تطير من الفرح، قائلة لأبيها: المدرسة تنظم رحلة إلى حديقة الأورمان، أريد عشرة جنيهات لأسجل اسمى، صرخ بوجهها: لا أملك نقودا، أسرعت الطفلة إلى فراشها وأجهشت بالبكاء حتى نامت.

بعد ساعات كان الأب يبتسم وهو يتحدث فى الموبايل مع تلك المرأة الرخيصة، دخل أحد المحلات وطلب من البائع تحويل كارت شحن بقيمة عشرين جنيها لرقم المرأة.

إعادة إرسال

نوبة غضبٍ غبية اجتاحتنى عندما تشاجرت معها، فألقيت بكل رسائلها المكتوبة لى على بطاقات ملونة من نافذتى، لم أكن أعلم أن ذلك المتشرد الذى يراقبنا دوما سيجمعها و يساومها على ثمنها عند باب عملها لتشتريها منه وتعيد إرسالها لى مبللةً بدموعها.

لوحة

داخل فصله كان يلون خريطة الوطن بألوان زاهية:

أزرق، أخضر، أصفر، ويردد أغنية:

عاش الوطن العربى عاش، غنوا معايا.

حين توالت القذائف على سماء مدرسته استحالت الألوان فوق سطح الخريطة بركة دماء، انكفأ على وجهه قبل أن يكمل شطر الأغنية.

إهداء

صعدت درجات السلم بهدوء وفرحة غامرة وابتسامة رائعة، تتسلم جائزتها، اصطحبته معها فى خيالها، قاموا بالتقاط صور لها ومعها، همس: أعرف أنك انتظرت هذه اللحظة طويلا.

ابتسمت، انتهى الحفل، خرجت تحمل شهادة تقدير وميدالية، أخذت طريقها مسرعة، توجهت إليه، وضعتهما مع باقة ورد ودموع تسبقها فوق مثواه ومرقده الأخير.

إلى زليخا

كم أنت مسكينة ! ! ! نعم زليخا كم أنت مسكينة!

وقعت بعشق أجمل الناس قلبا وملامح

آآآآه زليخا كيف يشهد من هو من أهلك عليك؟!

بأن يدك قدت قميص يوسف، إنهم لايشعرون بأوجاعك.

هذا قلبي الآن بها شعر لما رأى يوسفه، ألا ليتهم علموا أن يوسف مزق قلبك كله؟!

فإن كان قد شهد من أهلك عليك، فأشهد أنا ولست من أهلك، وإن يوسفك قد سرق وقطع كل قلبك!

كم أنت مسكينة زليخا وصمت يصرخ بضلوعك

كم هو شريف وعفيف يوسف كلانا و ما شعر.

سلام على كل يوسف وطوبى لكل زليخة، وقلب قد تفتت وضلوع من جمرها تأججت.

فى عز الظهر

أنـزلَ سـائق جارنـا هـذا الوزيـر المعـروف خروفـا مذبوحـا وفواكه،وكثـيرا مـن الأمتعـة أدخلهـا بيتـه الفاخـر تباعـا، كنـا نراقبـه أنـا وجـارى الآخـر مـن شـرفتنا، حـين انتفـض واقفـا وهـو يتمتـم:

لعنـة الله علـى الأيـام، فـى شـبابى كنـت أسـرق دجاجـة مـن قريـة مجـاورة فـى منتصـف الليـل، وكأنـى أقـوم بعمليـة (كومانـدوز)، ثـم نطبخهـا و نأكلهـا وندفـن عظامهـا قبـل شـروق الشـمس.

فى سبيل العلم

تحملوا فقرهم حتى يتخرج من الجامعة، ويصبح حاملاً لشهادة عليا، ثم حصل على الدكتوراه.

تسلم وظيفته محاسب لطلبات المقهى المجاور لمنزله.

بيع وشراء

أخيرا وبعد عناء، لأول مرة من ثمانى سنوات يعود البيت مستريحا بلا هموم، كل التحاليل ظهرت وتطابقت تماما مع المشترى،خلال يومين سيسدد كل ديونه من بيع كليته بثلاثين ألف جنيه.

بينما كان المشترى يتألم بشدة ويحذره الأطباء من التمادى فى ألمه، فكليه الذى فقده يمكن تعويضه بآخر من نفس الفصيلة بمائة ألف جنيه.

رؤية

رأيت أنى صرت نصفين: نصف أنثى بنصف رجل، ومعهما برق ورعد ومطالب بإسقاط نظام. تساقط رذاذ عطر ومطر حولى، وتناثرت حروف اسمينا فوق جلدى فصرت تاجا لملكة عشق جديدة يبحث عن رأس ينام فوقها ويستقر.

وسقط القناع

فى ظلال وحدتها القاتلة كانت تتحسس طريقها، وبدون موعد تجد أملا يقترب منها شيئاً فشيئاً، تشبثت به، ربما سيرحل الظلام عنها، تقدم لها، عارضها الجميع، أصرت عليه، ثم شيئا فشيئا سقط القناع عن وجهه الذى لم تعرفه، أذاقها ألوان العذاب، ليُنفس عن عُقده، قرأت كلمات العتاب والأسى فى عيون من حولها، بدأت تبحث عن باب للخلاص من دوائر الإهانة، الألم، لتعود إليها ضحكتها، لمعة عيناها دون جدوى؛ فقد ضاعت مع كرامتها التى استباحها هذا الغريب، نظرت إلى مرآتها، لم تعرف من تلك التى تقف أمامها.

ملامح

لم تكن تعلم عندما ساعدت أباها الأرمل بإرسال خادمتها الأجنبية مرة كل أسبوع لتنظيف بيته، أن طفلا ذا ملامح أسيوية سيقاسمها الميراث .

إعلان

فكرت فى كلمات إعلان تثير اهتمام القارئ فكتبت: آنسة، جميلة، حسنة الأخلاق، دون الثلاثين من العمر، تعرض سيارتها البيجو للبيع، للجادين فقط اتصل على الرقم (.....)

بائعة المناديل

كانت تجلس بقسمات وجهها المتعبة على الرصيف، بصوت متهدج تنادى:

"أيوة المناديل يابيه"، لم تحصل على جنيه واحد منذ الصباح، من بعيد لمحت رجلا يهم بسرعة نحوها، هللت فرحا، حين اقترب منها ذلك الرجل أخذ المناديل كلها، لكن سرعان ما تلاشت فرحتها وبدأت دموعها تنهمر عندما قال لها : "يالا يابت، لا أريد أن أراك هنا مجدداً وإلا حبستك فاهمة؟

نقاش

زمجر بصوت فيه حقد وشماتة بقدر ما فيه من التشنج ونظرات حادة، مؤكدا على رأيه، دون أن يعطى الفرصة لمن حوله حق التعبير عن رأيهم، فضاق صبرى منه واستجمعت شجاعتى وبدأت كلامى ووصلت إلى قمة سعادتى عندما راقبته صامتا ومبتسما يسمعنى و يهز رأسه مؤكدا على ما أقول ثم رحل مبتعدا، تنفست نشوة انتصارى.

أخبرونى أنه فقد نعمة السمع منذ أكثر من خمس سنوات!

إرادة

دخلت إلى قاعة الاحتفال يسبقها عطرها الفرنسي، ترتدى ثوب سهرة من أرقى بيوت الأزياء، تلمع مجواهرتها الثمينة بيديها وعنقها، تتابعها نظرات حسد وغيرة من النساء حولها، على زوجها، ماله، أناقته، وسامته، مكانته.

تحاول بعضهن بخبث اصطياده من خلف ظهرها، تبتسم بمكر وهدوء شديدين، يعودان لمنزلهما بالحى الراقى، تتلاقى عيناها بمرآتها، بدموع حبيسة وألم يعتصر ضلوعها، تضغط على شفتها السفلى فقد وافقت بإرادتها منذ زمن على البقاء معه لتحمل لقب الزوجة العذراء.

سرقة مشروعة

قال له بهدوء: سيدى الفاضل، أيمكنك أن تتكرم علىَّ ببعض المال مما تمتلئ به خزائنك؟ فأنا لا عمل لى، ولا زوجة، ولا أولاد، ولا أملك شيئاً من حطام الدنيا سوى هذا المسدس ميراثى من أبى، و المصوب نحو رأسك يا جدى الحبيب.

مناظرة

سأل معلم اللغة العربية : عندما يتشبع السحاب ببخار الماء تدفعها الرياح، فتصطدم بالجبال، وتسقط الأمطار، إذن لماذا غرقت الإسكندرية ؟

فرد عليه معلم الجغرافيا: ألا يبكى المرء حين يتألم ويحزن؟! فماذا تقول فيمن بكى من كثرة الضحك؟ ولماذا تذرف الأم الدمع يوم زفاف ابنتها؟

لم تقتنع

قررت أن أسألها: لماذا تبرزين هذه الخصلة من الشعر فى مقدمة رأسك، وتغطين الباقى بالحجاب؟

أجابتنى: هذه الخصلة لم تقتنع بالحجاب إلى الآن!

لغة الإشارة

لم تعرف سبب التغير المفاجئ الذى طرأ على زوجها، دائما يبدى رغبته بمساعدتها بأعمال المنزل، خاصة الغسيل دون أن تطلب منه ذلك، ارتاحت للتغيير، سعدت بشغفه الشديد بنشر الملابس بشرفة منزلهما التى تطل على حديقة جارتهم حتى ضبطته يومًا وهو يبادلها حديثا خاصا بلغة الإشارة!!

فوبيا

كلنا يعرف أنه تتملكه حالة من الهياج والصراخ حينما يرى ابتسامة أنثى، فهو لم ينس آخر زبونة ركبت معه التاكسي، أفاق فوجدها استبدلت قُبلتها الحارة بكليته بعدما ابتسمت له بمرآته من المقعد الخلفي.

ذكاء مدير

كانـوا حـول أكيـاسُ المـالِ المترامية فـوق المنضدةُ،وقـدْ أنهَـوْا عـدَّ مَـا فيهَـا، حـين أطـلَّ قَـارئُ النشـرة:

– "أفـادتْ جهـة غـير معلومـة، مُنـذُ حِـين، أنَّ عمليَّـةَ السَّـطْو علـى البنْـكِ أسْـفَرَتْ عـن خَسَـارَةٍ تُقـدَّرُ بمليـون ونِصْـفٍ مـنَ الـدُّولاراتِ، وقـدْ... ".

تلتَقِـى عيُونُهُـم، يتبادلـون النظـرات، وفجـأة ينطَلِـقُ الرَّصَـاصُ وابـلاً فـى الغُرْفـةِ الضَّيِّقَـةِ.

وحـين رُفِعَـتْ جُثَثُهُـم جميعًـا، أرْسَـلَ مُديـرُ البنْـكِ رسـالةً عـبرَ هاتِفِـهِ، مُهنئـا شُـركاءَهُ.

حرمان

نسى أهلها عيد ميلادها عندما أكملت الست سنوات، إلا أن جارتهم التى حرمت من الإنجاب ذكرتهم، عندما أرسلت لها قالب الحلوى الذى تحبه.

بقايا عطر

هـى مـلاكِ، و أنـا شـيطان مـن شـياطين الإنـس، لم يكـن هنـاك مـا يمنعنـى مـن البـوح، عـن الخطايـا التـى استعذبتها، والذنـوب التـى حملـت و سـأحمل، لم تقابـل البـوح إلا بالابتسـام، علمتنـى كيـف يكـون العنـاق بـلا غايـة كوليـد يلـوذ بأمـه ليـلاً عندمـا تداهمـه الكوابيـس راودتهـا مـراراً، طاردتهـا بـين صفحـات الكتـب، و بـين نسـائم الصبـاح، خلـف الوسـائد حـين تنـام، و بـين الأنامـل حـين تبادلنـى السـلام، حركـت الجنـون بـين فرائسـها، أشـعلت النـار للقِـدر كـى يطيـب اللحـم، لم أخبـئ اللعـاب بالأنيـاب اشـتهيتها حتـى الجنـون، تدثـرت بالعفـاف حتـى تـوارت، كبـدر ليلـة شـتوية يختبـئ بـين السـحاب، فمـا طـال الفـؤاد منهـا ولا تـوارت، وظلـت تناجينـى بـين ابتسـاماتها، حتـى جـاء يـوم الرحيـل، رأيـت فـى مقلتيها دمعـات أدمـت فؤادى، رحلـت كمـا رحلـوا، تركـت بـين كفـى مـرآة صغـيرة رأيـت فيهـا كـم هـى ملامحـى دميمـة، وبقايـا عطـر مـن كفيهـا يـوم الـوداع، يتسـاءل عجبـا: كيـف أراد شـيطان الاقـتران بمـلاَكٍ؟

صديقتى من النجع

سمرتها رطباً حلو المذاق يملأ عينيها وهجاً، تحمل قلباً يسع الجميع، تلعب دور الأب و الأخ، فلا عجب، فصعيد بلادى لاينجب غير الرجال، وشيم الرجال، صديقتى امرأة تأخذ بالألباب، تتهادى بخطاها فتذهب العقول، و لو فقد عابثاً عقله و اقترب، لناله ما لا يرضيه، كانت مقربة كابنتى وربيبتى التى حملتها فوق كتفى، دائما أراها طفلةً عاصيةً مستعصية، عنيدة، لاتخشى أن تناطح الرجال من أجل الحق و إن كان ضئيلاً، لا ترضى بأنصاف الرجال، تأتى لتشكو تتساءل دامعةً إن كان العيب فيها أم فى الزمان، وتلعن دماء الصعيد فى الوريد وأحاول أن أعرف لماذا لا ترضى كغيرها بأحد الذكور؟ هل عليها أن تنتظر ذلك الرجل الأسطورى؟ أهون عليها غضبتها، وأذكرها بالكبرياء وأن شريك الحياة إن لم يكن إضافةً فإنه نقصان. فتضحك كالأطفال، تشعل شيب رأسى بخيال وراءه خيال، تلتقط منى الحلوى، آآآآه لو تعلم كم وددت أن يتغير الزمان؟

لقاء مؤقت

هـى تعـرف مـا تريـد، وأنـا أعـرف مـا أريـد، فكنـا صادقـين، علاقتنـا لا تحتـاج إلى مشـاعر مزخرفـة، نـود بعـض الوقـت، نزهـة خـارج العقـل، و لقـاء مؤقتـا ، نـترك علـى أعتابـه قواعـد الاحـترام، نتحـرر مـن جميـع القيـود، نتشارك متعـة اللحظـة التـى ليـس لهـا غـد، نتشارك بعـض الحلـوى، نغـير مـذاق القهـوة المـر، رويـت لهـا عـن نفسـى بـلا أقنعـة، وروت عـن أغـوار نفسـها بـلا تكلـف، أخبرتهـا عـن حبيبتـى التـى.... وأخبرتنـى عـن مريديهـا الذيـن... منهـا تعلمـت حكمـة، قالـت إن النسـاء صنفـان : صنف يعشـق بإخـلاص، هـن الأقـل، وصنـف بلاقلـب يتلـذذ بمـذاق القلـوب الهائمـة يقتلعنهـا عـن الصـدور بـلا رحمـة، يقدمـن بعـض الشـيء بعـض الوقـت.

ولكـن بقـدر مـا يجعلـك تسـتمر فـى العطـاء أمضيـت معهـا كثـيرا مـن الوقـت، ودعتهـا بقبلـة أحسسـت كأنهـا بـلا نبضـات، قالـت إنهـا لا تعطـى القبلـة لأحـد، عـادةً لأنهـا تحتفـظ بهـا لمـن سـيخفق لـه قلبهـا، ضحكنـا ومضـت.

تساءلت وقتها: ربما أرادت أن أعاود المحاولة؟

امرأة واحدة

بلا تعب هكذا وجدتها مثالية؛ كل ما تمنيته فى امرأة واحدة، كانت هى تقاربنا بحذر تباعدنا بألم، اقتربنا من جديد، تكسرت بين أناملنا الكثير من القواعد.

حديثنا دائما بين السطور، سمعت من شفتيها كلمات لم تقلها وسمعت منى إجابات لم أصرح بها، كان حديثاً مفعماً بالشغف.

تدغدغ ضحكاتها قلبى وكأننى مراهق صغير، استسلمت إلى نداء العيون، تعالت الحمرة على وجنتيها، تساءلنا: هل بإمكان العمر أن يعود إلى الوراء ؟ لنبدأ معا ذكريات مضت لم تضمنا، أن نعيد العمر معا، تعانقنا حتى الثمالة، افترقنا بابتسامتها التى تهبها لى دائماً.

بلا جدران

لأنها تحب العزلة تخلق لنفسها عالما موازيا تلوذ به، عرفتها، رسمت لها ملامح من قصاصاتها بعوالم الأساطير تملأها شوقا وشغفا،كتبت لها بضع كلمات، عرفت أنى فارس بلا سيف وبلا جواد، لم تسبر أغوارى واكتفت بأن نظمت لى جدائلها، وألقت طرفها تجاهى من برجها العاجى، وقد آنسها لحناً قديماً أردده فتمتمت معى بعضه، تعالت ضحكاتنا الأثيرية و تعالى معها صوتها العذب صورا على سفح القمر، رافقنا الكروان وبلابل الليل، تساقطت شهبا ونيازك من سمائنا تتراقص معنا تشعل الأكوان، تطايرت تميمة الساحر فتلاقت الأعين بين العاشقين، وتسامعت الآذان أصواتنا تمتمات وتناغما فى لحن كونى، بادلتها سحراً فكنت و كانت تعويذتى، جعلتها ترسم ضحكة على جدار برجها العاجى ، أما أنا فرسمت سلما أصعد به إلى غرفتها، بخطوط غائرة كجراح تئن بقلب الوطن، أضعت عمراً مترددا وانتظارا لأن تطول جدائلها، فكانت تعيب علىَّ قصر ذراعى وخواء جيبى، اكتفيت بحلم وفرحة مخبوءة خلف جدار، أبحث بلا جدوى عن باب له جدار، أردت أن ألقاها ثانية بلا جدران.

رفيقة المكان

هـن كثـر وعلاقتنـا دائمـا بـلا كلمـات، وأحيانـا نظـرات نتبـادل فيهـا الرسـائل، بعضهـا طالبنـى بالاقـتراب والآخـر زجرنـى بعنـف!!! و فـى اليـوم التـالى كانـت تعوضنـى بابتسـامة مكتومـة، و لكـن أبـدا لم يحـدث اللقـاء، هـن دائمـا رفقـة المـكان، أرى حسـنها عـن بعـد، نتشـارك كـوب الشـاى و أخبـار الجريـدة وقطـع الحلـوى، اقـتراب بـلا اقـتراب، كـنَّ فتـاة مدرسـتى وجارتـى فـى البنايـة المجـاورة وأحيانـا زميلـة العمـل، كانـت دائماً واحـده منهـن فاتنتـى و ملهمتى، اختارهـا أن تبقـى قيـد خيالى أرى فى نفسـى أننى لاأسـتحقها، لا أحـاول الاقـتراب، رغـم أن عيونهـن كـن يـردن ذلـك، إن اقتربـت يـدور بيننـا حديـث خاطـف كلمح البرق قبيـل هطول المطـر، فـلا مظلـة بهـا نحتمـى، ليـس لـدى مـا أقدمـه، ولا رصيـد فـى دفـتر أحملـه، آه منـك وتبـا لـك قلـة حيلتـى.

كـم وددت أن أختـار منهـن واحـدةً فتصبـح رفيقـة دربـى للأبـد.

مقهى الجحيم

لأنها بائسةً ضائعة، كنت لها بائع كلمات، وصاحب نظريات، وصائدا من نوع آخر، لم تتماسك طويلاً حتى دفنت رأسها الصغير فى صدرى، بكت، وبدموعها الكاذبة، اغتسلنا بالآثام تمرغنا، حتى أصبحنا كما ولدتنا أمهاتنا، انكشفت سوءاتنا بلا تكلف، لا حاجة لنا بمزيد من الكذب، لقاءً خيالياً بين زوج من الشياطين، وعلى مقهى قريب من الجحيم نعيد ماكان من خطيئة ونستعيد النشوة، ضحكنا طويلاً بلا سبب على هؤلاء التعساء الذين صدقونا و من أنفسنا وبينما نتبادل الضحكات، تطلعنا طويلاً إلى أرواحنا كم كانت شفافة، دمعت الأعين لحظة، انصرفنا على لقاء يحمل وعدا أن نتقارب من أجل لحظة بلا تكلف، ومساحة رحبة بلا قيود.

علاقة هندسة

قال لها بعد صمت أرهق أعصابها، فقد كانت تعرف أنها قد حاولت وقدمت ما تستطيع من أحاسيس لم تقابل إلا بالنكران، ولم يحرك ساكنا ذات يوم لإنقاذ ما بينهما من الآلام والجروح: اعتقد أن علاقتنا تحتاج إلى ترميم.

فأجابته بصوت واثق: بل تحتاج إلى عرضها للتنازل أو البيع، ونظرت إلى هنااااك.

تهنئة

قضى عمره بلا زواج، وصديقات بكل مكان.

فى يوم ميلاده الستين، لم يذكره أصدقاءه ولا أخوته.

وفى يوم المرأة العالمى انهالت عليه رسائل التهنئة من عشيقات أيام الشباب .

يد خشنة

يتابعها بنظراته وهى تستلقى فى دلال على الأريكة بغرفتها المقابلة لنافذته، تمتد إليها يد خشنة تداعبها فى رفق وتربت على ظهرها الناعم، فتتمايل وتنثنى يمينا ويسارا، تغمض عينيها فى هدوء.

يود لو أنه اليد المداعبة لها، فجأة تقفز لتلحق بأخيها ويعلو مواءهما بالمكان .

شكوى

بـدأت حوارهـا قائلـة: لاأعـرف سـببا واحـدا لافتعالـه المشـكلات ليبيـت كثـيرا بمـكان عمله! هكـذا شـكت الزوجـة للطبيـب النفسـي.

فسألها: ماذا يعمل زوجك؟

أجابته قائلة: ضابط.

لم ترتسـم علـى وجهـه أى ملامـح سـوى أنـه بـدا عليـه عـدم التوصـل لسـبب مقنـع، ولكـن سـرعان مـا ضـم شـفتيه للداخـل وتوصـل للحقيقـة حـين أردفـت تسـتكمل: ضابـط بسـجن النسـاء.

حكاية

بـدأت الجـدة تـروى حكايتهـا اليوميـة، كالعـادة لأولادهـا ومعهـم أحفـاد رُوحها، تغـزلُ بصوتهـا صـورا وأنغامـا، فتزيـنُ البدايـة بـكان يـا مـا كان، وبأناملهـا تنسـجُ شـالاً بالمحبـة مـن أزهـى ألـوان لأصغرهـم، وكلماتهـا بطعـم الحلـوى ,المعـدَّةّ لضيافتهـم وعبـق القهـوة يمـلأ البيـت ويعطـر الأركان.

فجأةً! !توقفـت لتسـتوضحَ هـدوءًا ملفتـاً حولهـا، فتذكـرت بحسـرة أن صورهـم المعلقـة علـى الجـدران، لا يمكنهـا التعليق أو الـكلام .

رصاصة !

طلبَ منها المديرُ زيادةَ عددِ ساعات العمل، تجرَّأتْ على مناقشتهِ أطلقت رصاصة بوجهه:

أنَّ القانون حدد لزيادةِ عددها يترافق مع أجرٍ إضافي، معتمدةً على مركزها الهام في الشركة، وافقَ فزادتْ ساعات عملها في المنزل بلاااا أجر !

تصحيح بصر

كان يظن لأنها تبحث عن الحب بالعيون أن قلبها لن يطرق بابه، ابتعدت قليلا، صمتت برهة، ثم راحت تلقى بكلماتها الموجعة كوابل من طلقات مدوية، لعينيه وشفتيه وكل ما حرك مشاعرها.

وان كنت أبحث عن قلب يحتوينى إلا أننى لن ألقى بقلبى على قارعة الحب للعابرين ليتذوقه كل عابر على قدر جوعه ثم يمضى تاركا شروخا وتصدعا بروحى، التى للآن لم يمسسها بشر!

إبليس فى الإنعاش

رسالة من زوجة ابن، قالت يوما لأم زوجها :

عزيزتى حماتى لا تنصحينى كيف أربى أولادى، فأنا أعيش مع أحد أولادك وأرى نتائج تربيتك.

فى المساء تم القصف بصاروخ بعيد المدى تخبرنا القصة أنها إجابتها قائلة :

أرى أن ادعاءاتك كلها والله صادقة، وأن كلامك لمس جرحا غائرا بداخلى، لو أنى أحسنت تربيته ماكان اختارك، فى الحال تم تدمير مواقع العدو، بوابل من القذائف الحارقة من يومها، يقولون إن إبليس مازال يرقد فى الإنعاش.

حياء وكبرياء

قتلها الحياء، كبله الكبرياء تخاصما، تباعدا، زادت الفجوة، شوقا تجرعا كأسه حد الإعياء على مرافئ الصمت، تندرج روحا وتتكئ دمعة، لتكتب رسالة فارغة تحط رحالها على صدر الفراق..

حلم عبر الأثير

بين نوم ويقظة، فكرت أن تهاتفه، تعاتب لا، تعترض لا، ليس وقت العتاب، ستناجيه بكلمات.

ما أن سمعت صوته حتى قالت بصوت يشبه الهمس: هل لى أن أطلب منك ؟

أجابها بصوت هادئ: نعم أسمعك، استمرت دون توقف تقول:

تعال ارحل بى خلف السحاب كى ينطق الياسمين حروفنا، انثر كلمات الحب كى يجَنّ القلب أكثر من بهائك، اكسر المرايا الصامتة، أعلن الانبهار بطوقى، افتح كفّيك امتداداً لنيسان وزهور البرتقال لزهور البنفسج العاشقة لجبينك وضوء عيونك لشقائق النعمان التواقة للمسات الحنان، لوردة كالشمس تزهو وتفتخر بأنها صديق صمتنا، كماء ترقرق بين شفتين إحداهما هنا والأخرى هناك تبحث عن لمى الحنين فوق عتبة البعد الغائر بالوجع.

همس لها: سأكون كالفُرات يجرى بين يديك يصب بالشقوق شهد اللمى فيروى صحرائى القاحلة، ليصبح الندى عطراً وشذرات عابراً كل الجهات شرقا وغربا، أو كالنيل يجرى من الجنوب إلى الشمال بثقة وعناد فتزهر زهور اللوتس وتزهو بعبيرها الفواح.

فى بعدك صرت كصحراء ارتعَشت فيها حبّات الرمال المُلتهبات، تحلم بأشواق بلا فراق حار كلفحة ريح تذوى بها وريقات يابسات، دمعى تخنقه الظلمات النيِّرات، لك حَرف سجَد من حُبّ أضنى الفؤاد، مَحا الكرى داخل ضلوعك واتكأ على زهر الأقحوان الذى نبت بين ربوعك، فهل فتح لنا الأبواب هذا الحارس اللعين الذى لايشعر بما نحمله من آهات الشوق عبر الأثير؟

أنهت مكالمتها، دونما رد، و أكملت حلمها.

لاتصدقيه

ياصغيرتى، أخشى عليك من أحاسيس لابد وان تأتى يوما وتحوم حولك، كفراشات تعشق النور ، فدائما ستجدين فى رحلتك من سيوهمك أنك آخر أجمل نساء الأرض، أن لا مثيل لك، وأنك الأولى والأخيرة، سيقنعك أن لا أحد أستوطن قلبه غيرك.

لا تصدقيه!!! حذار!! فهذا هو الرجل الشرقى، بارع فى تأليف الأساطير !!!

رشفة قهوة

تأملهـا وهـو يرشـف قهوتـه، رأى بعينيهـا أحلامـه التـى رسمهـا، وجدهـا بـين كلماتهـا البسـيطة المنمقـة، تـرك فنجانـه وأمسـك بيديهـا المرتعشـة، فـى حركـة مفاجئـة، وبقـوة هامسـا برفـق: تتزوجينـى؟

خبر

ـ سيدى الرئيس باسم الشعب نعلن أنه تم عزلك.

قالها قائد الانقلاب بصوت كله ثبات فى مواجهة رئيس بلاده، التفت إليه الرئيس قائلا بسخرية الواثق :

كيف يعزلنى شعب مازال ينادينى قائد انقلابه الأحمق سيدى الرئيس؟

ثم نادى على حرسه الأمين: خذوه هو ومن معه إلى السجن العتيق.

فى الصباح، كانت المدينة كلها ترزح تحت وطأة حصار اللهب وأدخنة اللحم المحترق، من داخل السجن والسبب ماس كهربائى، هكذا صرح الإعلامى المعروف عبر القنوات الفضائية.

بلاغ للنائب العام

ـ ابدأ الإشارة هنا من مدينة العشاق، ٤ شارع الهوى، عثرنا على قلب من غير نبض، يمكن قتيل وعروق منها الدم على الصفين يسيل، وشرايين نزعوا منها الإحساس بلا إحساس، فى كمان عيون متحجرة سرقوا منها فرحها، وشفايف يابسة متشققة من قلة الابتسام، لا أكسجين نافع يافندم، ولاكلمة حنينة وحاولنا نقول كام نكتة، مالاقينا استجابة.

ـ ابعتوا قوة تنقل القتيل وتحقق فى الحكاية، ورياهم خدوا شفايف كانت بتقول أحلى كلام ومعاهم العيون اللى كانت لما تبتسم، على وش الصبح ترسم أمل.

ـ كفنوهم وبالتراب غطوا واستروا عورة حقيقة.

القلوب لما تموت من كتر الجروح، والإحساس لما بيختفى بيروح معاها لمعة عيون وبراءة طفولة المشاعر.

ـ إياكم تخفوا معالم الجريمة، حافظوا على المكان. يمكن ييجى طبيب يداوى ويزرع مكان الجرح كلمة حب تنبت بدل النبض اللى مات نبض يضحك يقول انا للنهار الضى.

ـ تمام يافندم.

آخر بلاغى، عليك بانادى يا بكرة، ياللى جاى، كدا أنا خلصت الإشارة، و مستنى منك بشارة.

من أنا

سألته: من أنا بقلبك ؟ وشوق بين الأضلع يناجيه، قال: سيدتى، هنا بين ضلوعى مكانك، تقاسمك من القلوب عشرون، فسماء وجدى لاتعترف بالأعداد.

امرأة هى صديقتى والأخرى حبيبة وقلب به أهيم وآخر على أعتابه أستقيم، شجونى أنت، وشقوتى، أنا أبغيك وصلا وحصنا، فأنت من غرست الشوق بين الحنايا وعطرك يطارد عباءتى أهرب من عيونك وبأهدابك استقر.

يأخذنى حنينى لشفاه عنى تصوم، وطيف يلاحق حروفى، وإليه أنوى الرحيل، أترك نجماتى بضوء عينيك تستنير، وبين جدائلك أزرع بذور ورود وغدا سأرويها.

تعثرت كلماتى تجمدت مشاعرى على أعتاب الدهشة بينى وبين العشرين سنتقاسم سرابا، بين الخيال والجنون، يبقى بك فؤادى مفتونا.

قبلة

وقف بشرفته، ينتظر زوجته التى جلست منذ أكثر من ساعة أمام مرآتها، على مرمى بصره كانت هى تراقبه خلف ستائرها فتحت نافذتها، لوحت له وأرسلت له قبلة فى الهواء تحولت إلى فراشات تسبح فى الفضاء.

خرج يجمع زهور الياسمين والفراشات من نور عينيها غير مبالٍ بنداء من الداخل يلاحقه: إلى أين؟

الموتى لايعودون

قال بصوت يشبه الهمس: اشتقت إليك، أن أتأملك، ولمعة الهوى بعينيك، إلى أيامنا، فهل لنا من مرة أخرى؟

ابتلعت مرارة أوجاع، وآلاما وتحسست جروحا غائرة مازالت بين الضلوع، ردت بصوت آتٍ من العالم الآخر، من عشقت براءته و تحملت لأجلها الكثير: مااات، والموتى لا يعودون.

أقدام وصهيل

أقف على باب مدينتك، انتظارا لذراعيك تطوق خصرى، وأنفاسك تلفح وجنتى، يمضى النهار لا تأتى، يلف الليل رداءه المزق بأنين قلبى ودمعة حثيثة تخشى الانزلاق على عتبة ذاك الباب العتيد تتسمر قدماى فلا مرفأ لسفينتى إلا بين ضلوعك، أسمع وقع أقدام وصهيل خيل أعرفه، نعم هو أنت، تجذبنى بحنو تهدهدنى وسرج ذهبى يشق الظلام، تدنو إلىّ، تهمس:

ـ قد راقبت وقوفك، لمحت لهفتك، لمعت وجنتاكِ بندى الياسمين، فلملمتها لتبقى عطرى، لمع الثغر تحت الخيوط الفضية، سبحنا فى بحر اللمى، افترشنا جدائلى، وأوراق الشجر.

نقطة_ تقاطع

طال أمد الحلم بيننا، بينما لم تتقاطع الطرق، لتمنحنا لقاءً ولو مصادفة يا أميرتي، تحركت القطارات في اتجاهات متعاكسة، انقشعت الأدخنة هناك خلف خط الأفق يتحرك قطارك إلى حيث لن أجدكِ، و بدورى سأنحدر إلى بعد آخر من العالم، تدفعني آلاف الأيادى والكلمات إلى الخلف تكمم فمي و تخفي عينيَّ، ليس لدى طاقة كي أقاوم، كل ما أفعله أضع صورتك خلف الضلوع، حين يداهمني الصقيع أتناجى معك ليلاً، نبعثر من حولنا مئات القصص نتهامس شوقاً، يفارقني آخر ما كان يطيب لى، لم يتبق بجوفي سوى ماكينة تفعل ما هو مطلوب بلا عطب، لا تخفق، لا تتذمر، تمارس مهامها فاعتاد الجميع إهمال وجودها إلا عندما تتوقف عن العمل، و إلى ذلك الحين ستظل تعمل بلا توقف، سيظل حلمي حبيساً مع صورتك خلف الضلوع،ستظل المسافات تباعد بيننا، وتبقين أملا ووردا أزرعه كل يوم بحديقتي.

إليك

عـام قـد مضـى وبعـده ربمـا سـتمر أعـوام، ويأتـى عـام وراءه وهكـذا دنيانـا أيـام تأتـى ونـودع أياما.

وهـذه ذكـراك فـى الفـؤاد لاتغيـب، يـوم رحيلـك يقـف عنـده تاريخـى إجـلالا.

لـك يامـن وقـف ببابـى، وعلـى أعتـاب محرابـى بـدأ الطـواف، فأسـرع قلبـى يلبـى ومالـت إليـه الضلـوع سـعيا دونمـا استئذان، بالتسـبيح والدعـاء.

قلبى لك أبواب أدخلها جميعا، بلا استحياء.

رسائل لم تكتمل

بيننا نظرات و همسات دافئة، تختبئ خلف تلعثم الكلام، بين العبارات، تحمل اللوم بين رسائلنا التى لا تنقطع ،و لا تتصل، المسافة قريبة جداً ولكن الخطوة مستحيلة، ليس لدى شيئاً لأقدمه، حتى الأمل لا أملكه، تمسكت بالعقل، حافظت على مسافات بيننا، ومستقبل لن أعطيها فيه شيئاً، استمرت بيننا لعبة التلصص، تضبطنى متأملا ملامحها بينما تضحك، أداعب الوجنات المبهجة، أحصى عدد الرموش فوق العيون، وأحيانا تسقط عيناى على الشفتين، أتشاغل عنها، أعاود التلصص، كل ما أعدها به بضعة نظرات، لن ألومها إن ملت الانتظار، لمسافاتى الآمنة، الآن أو غدا، سأحزن وحدى داخل جدران الليل السوداء إن وجدت من لقلبها يقترب، من يستطيع أن يكون رفقة وبيتا، وربما أحلم أنى أحمل لها وردا رقيقا مثلها.

عالم الألوان

يائسة، توقفت بها الحياة، اكتفت من العالم بريشة وألوان ، ترسم عوالم لا نعيش فيها وتستمع إلى قصص لانعرفها، صرت دون أن أدرى قطرة لونٍ فى فوضى ألوانها، قطرة متمردة، تطايرت فوق الجسد و الثياب، اقتحمت عالمها الذى لم يكن يعرف إلا الألوان القاتمة، راحت تتخلص من البقع ويرتجف الجسد ثم وضعت مرآةً ضخمةً أمام عينيها لتتأمل ملامحها بين الألوان الفاقعة، لترى كم هى جميلة غضة تستحق الحياة، أخفت وجهها بين كفى بدأنا الرقص على إيقاعات ناعمة، فتحت عيناها وثبتتها فى عينى اخترقت جدار الجسد، ضربت حواجز الروح ذابت، امتزجت، أخرجت عالما من الألوان المبهجة، رجعت بقدمى خطوة إلى الخلف لأرى لوحتى، وهى ترقص و تضحك كما الأطفال، أراقب حركاتها فيضرب وجنتيها خجلا ودلالا، أردت حينها أن أقتطف من كرز الشفتين قبلةً بطعم الألوان.

دفتر الكلمات

أذكر دفتر الكلمات الذى أهدتنى إياه، يومها تعرفت على عقلها، عرفت كيف يكون الشعر مؤنثا، كيف يكون النظم امرأة ولحظة ميلاد من رحم القلب، كيف يكون جمال الأنثى حين تعشق، حروفا صارت حلقات كهالات الضوء تتشابك فوق سطور الأفق، تحلق جماعات فى كلمات، و تهاجر أسراباً فى أبيات، تتحول إلى غيمات تحجب ضوء الشمس، تنهمر صعيداً حامياً فوق جدار القلب، كم كانت بارعة تلك الأنثى بالحروف والكلمات وكاملة تلك الأبيات، متناغمة تلك القوافى، كنت مفتونا بصاحبة الكلمات، تراقصنا طويلاً بين المعانى و بين الأوزان، تعانقنا طويلاً خلف ظلال الوجد، كلماتنا تنساب من الشفاه والقبلات بلا خجل و بلا حدود، طال بنا حديث الوسائد الدافئة حتى الصباح، وحين سطع ضوء النهار، تلاعبنا بقوانين الفيزياء صارت قلوبنا ترنو الى الملكوت، وعندما لمست أقدامنا أرض الواقع، تنازعنا، لم نجعل من كلماتنا واقعا ملموسا، رفض الكون لقاء قلوبنا و تلاعبنا بالقانون.

أول إمضاء

صغاراً كنا عندما أدخلتني عالما مسحورا خلف ليل العيون، تركتني أعبث بجدائلها بأنامل ضعيفة في حديقة بيتنا، تسللت الأنثى من خلف ستار الأطفال ،لتتلاعب بقلب الصبي الحالم، كثيرا ما تناولنا الطعام على مائدة أمها ،نتشارك صحن الطفولة، وحين كبرت، كبرت معها، متسائلا: كيف يمكن لتلك العينين التي تحمل بين جفناتها براءة الطفولة أن تحمل إغواء الأنثى، هي كانت أولى ارتعاشات القلب و تسارع للنبض، تلاشت لمساتنا الطفولية صارت تتزاحم رفقاً و وداً، بين مشاعر أغلبها من كيد الطفولة ولذة فاقت كل مذاقات الحلوى، أتذكر تلك الوجنات الطازجة باسما، لماذا لم أتذوق طعم الوجنات وقتها، لماذا بادلتها خجلاً بخجل لماذا أحسن الكلمات كتابةً، بينما تهرب مرتعشة عندما أكون في حضرة تلك الأهداب السوداء؟ حلوتي هل تذكرين كم كنا أنقياء، لم يبق من نقائنا، الآن، سوى صفحة مطوية، يراودني سؤال :هل أردتِ مثلي وقتها أن أكون على شفتيكِ أول إمضاء.

حديث الأنامل

رأت شفتيه تبدأ بسؤالهما المعتاد: أخبارى عند قلبك؟ كتبت بوريقة أمامها: لولاك ماكان لحياتى معنى، لمعت عيناه، ابتسمت.

كأنها لم تعرف الحزن

عنيدة جداً، كالجرانيت، شامخة بجمالها الفرعوني الذى يتجلى فى كل ما تفعل، مشعة بالطاقة و الإقدام، مقاتلة من زمن الفرسان، فى أى مجال تعمل كانت سيدته بفكرها، لديها حاسة خاصة تحميها من الخبثاء، بعيدة المنال، قد تظل شهورا وأحيانا سنوات فى مكان لا يليق بعقلها، أصبحت وحيدة، رغم أنها شعلة نشاط فى الصباح ووحدة قاتلة فى المساء، كل همها كيف يأتى الصباح سريعا، وفكرة تدور معها كيف تتغلب على خصمها العنيد أن تتغلب على نفسها أن تنام يوما ملء الجفون، تقضى الليل تبحث فوق شرفتها عن الضياء وتناجى القمر تستجديه ذهابا، تناجى أضواء السيارات، تناجى انعكاس الضوء فوق الأرصفة المبللة بالأمطار حتى يأتى صباح جديد لتنطلق وتملأ الأرض بهجةً تضحك و تلعب كفراشة ملونة، تبدو للجميع و كأنها لم تعرف الحزن قط، بينما هى لم تتعرف على الفرح إلا قليلا، تتخيله عذباً كالروايات الرومانسية، و فارساً يأتى فوق حصانه ليخطفها، تتخيل ما لن تجد يوما، ثم تعود لليل والضجر و الحرمان، تؤمن بأن الله قد أخر لها ما يستحق الانتظار.

قلت لها

رغم ما كان منى، أريد أن أعود، لا أنكر عليكِ الاحتمال، رغم اعترافى بأنى آذيتكِ حتى يئس الصفح منى، وجرحتكِ بلا رحمة، لم أكن أفكر إلا فى نفسى، فى تلك الأشياء التى تنقصنى، نسيت دلالك، واعتدت عطاءكِ بسخاء ،اعتدت أن آخذ وأتدلل، وأن تصفحى عنى بعفوية حد الغفران، حتى ارتبكت اختياراتى، و التبست الكلمات فلم أفرق بين التدلل و الاعتداء، وعندما وجدت حياتى من دونكِ خاوية، عرفت قيمتكِ، وددت لو أن الزمان يعود إلى الوراء، فأعوضك ما اقترفت، لتعودى، لتغفرى، لأكون كما تستحقين، ظهراً له تستندين و صدراً تتوسدين، بنظرات متشككة طأطأت رأسها ولم ترد .

لست غبية

وبكلمات تغمرها الدموع، همست بهدوء : معقودة أنا بين خيوط الذكريات والآهات، يتنافس على جسدى حنين لا طاقة لى به إليك، و جرح لم تجف دماؤه داخل الضلوع بعد، لكنى حاربت متاهة الخيوط، امتنعت عن النظر إلى الوراء، قاومت شباك الحنين، وصلت إلى آخر النفق، عانقت بقعة النور، بقطرات الندى غسلت همومى، قبلت وجناتى أشعة شمس صباح يوم جديد، بيدى صنعت حريتى، لن أعود إلى ما كان من عبودية، سامحنى أنا لست غبية بما يكفى، كى أعيد الكرة وأبقى معك، عقارب الساعة يوما ما رجعت للوراء.

مواعيد وهمية

كانت تمر كل يوم بين طرقات ودروب مدينة الحب طرقت كل الأبواب، ولما لم تره نقشت على الجدران رسالتها، إليك يا من لم يأت زائرا أو مقيما بغرفتى، وبين جنبات عقلى وسكنات روحى اخترعت لك مواعيد وهمية، وبين طيات قلبى أحمل لك ومضات لمشروع حب أجمل من قصص الحب التى سمعت وعرفت، كلها تنتظر شرارة البدء من مرفأ عينيك، فهل آن أوان أن نلتقى ؟

براءة

فى ذاك الزقاق العتيق، كانا يلعبان، عندما رأى أشعة القمر الفضية تتناثر فوق ثغرها، أحس بتيار صاعق بداخله، اقترب منها، لمس وجنتها بأنامله، هم بها يقبلها، أدرك أن براءته توارت خلف السحب.

أصل الوجع

فى يوم قالت له: نفسى أهديك أغنية

ـ ضحك وقال لها سمعينى، كانت بتحكى عن قصه وداع، فجأة اتعدل فى قعدته واستغرب انسجامها فى الغناء! قال: يمكن مجرد انسجام، عدى وقت مش طويل! افترقوا بجد.

وماكانش باين عليهم حزن حتى على اللى فات!

ومجرد ما بعد عنها خطوتين افتكر لحظه غناها ركز فى ملامحها وقتها وركز فى الكلام! حس انها كانت بتشتكى له وكأن الكلام طالع من قلبها، حس أنه أول مره يشوفها بشكل مختلف!

– حزن لما فهم انها حاولت تشتكى منه، وانه كان أصل الوجع.

حارتى

حارتى، فيها بيت ابى، تفتحت عيناى على بيوتها العتيقة، صوت العصافير صباحاً يختلط بصوت بائع الفول أو الروبابيكيا، وليلها يردد صخب الشباب و لعب الطاولة بالمقهى الصغير، على الرصيف المقابل لبيت جدى عجوز يبيع الحلوى الرخيصة و الألعاب البسيطة، فى العيد نتسابق إليه لنشترى (البمب والبخت) نفرح إذا اشترت قروشنا القليلة بالونة كبيرة، فى إجازة الصيف أزور صديقى الذى تطل شقته على الشارع الكبير، نستمتع بعمل الصواريخ الورقية نطلقها فنتسابق فى الطيران، تنمو لنا أجنحة، نحلق فوق الغيمات، نركض كفراشات ملونة ونختبئ إذا ما اقتربت من أحد المارة كى لا يبادرنا باللعنات، نضحك ملء صدورنا، ثم كبرنا، أصبحت أجسادنا ثقيلة صارت أجنحتنا صغيرة تساقطت البهجة، بحثت عن أجنحة حقيقية أسافر بها إلى غربة بعيدا عن حارتى، على باب المطار فارقت حارتى بالدموع، أحلم أن أعود بعد عام، ثلاثة عشر عاماً مرت، كل عام يمضى يسلبنى شيئاً من هويتى، من ملامح ذاكرتى، وأبدًا ما نزع اسم حارتى.

كشف حساب

سافر بحثا عن عمل، عاد بعد سنوات فى تابوت،
تصحبه حقيبة بقاياه وكشف حساب بنكى.

غريب بالباب

تـرك زوجتـه وابنـه الصغـير، وسـافر بحثـا عـن عمـل، عـاد بعـد سـنوات، طـرق بـاب بيتـه، فتـح لـه شـاب يافـع، وصاح: أمى غريب بالباب.

لاتنكر

قبل أن تخرج من مسرح الحياة قالت لى بأسف:

كلهم يريدون الثمن.

من شفتى، ومن جسدى.

كلهم ينظرون إلىَّ بأجسادهم، لقد تعاون جمالى مع شرورهم على الإيقاع بى.

لا تنكر قولى، فأنت أولهم.

أمير البحر

صدفة، دون موعد أمسكت بيدى تلك الفتاة فاتنة الجمال تتساءل : هل تعرف شارع أمير البحر؟

من فرط دهشتى حين اختصرت الليل فى عينيها وقوسين يحرسان هذا الجمال أجبتها : أنا أمير بلا بحر!!

علامة تعجب !!!

سألنى وكأن ماقلته توا ضربا من خيال، لماذا ترفضيننى ؟!

بهدوء لاتعرفه:

– أسلوب حياتى لا يتلاءم مع أسلوبك، أنت تريدينى تقليدية أطهو، أغسل، أنظف، فى الليل أمتعك بلا نقاش أو ابتكار لا أختلف معك.

تبحث عن خادمة نهارا، وعاهرة ليلا عفوا ضللت طريقك سيدى.

فأنا أبحث عن زوج، عفوى، ضاحك، لايفتش عن أخطاء، ينهر ويزمجر ليل نهار، عاشق يحبنى دون علامات استفهام أو سؤال يتبعه ألف سؤال، أبحث عن صديق، حبيب، شريك لتطلعاتى، لهواياتى، لأحلامى، أناقشه، يحاورنى فى أى شيء وكل شيء حتى وإن كان تافها أو رائعا، يشجعنى أدعمه، و حين أنجح أراه سعيدا يصفق لى بانبهار، نختلف ونتفق، يحملنى بذراعيه ويقفز

بـى مـن رصيف لرصيـف، تعلو ضحكاتنـا كالصغار، يشـاركنى بيتـى كرفيـق وعاشـق لا كسـيد يحمـل مفاتيـح الجنـة والنـار، أفـرح معـه بالصمـت حـين نجلـس فـى أيـام العطـلات، نطالـع كتابـا واحـدا مـع فنجانـى قهـوة، نسـتمع لموسـيقى هادئـة، ثـم فـى الظهـيرة نختـار ونطهـو الطعـام.

وفـى المسـاء نمـرح، نتحـاور، نضحـك كالأطفـال، أريـد علاقـة راقيـة كعلاقـات الأصدقـاء، وأن يأتـى لهونـا للمتعـة متـى نريـده معـا لا لـك فحسـب.

والآن، أحلـم أن تخـرج مـن حياتـى بهـدوء، بـلا تعجـب أو اندهـاش.

نحو الشمس

رسم بيتا حوله حديقة وأطفال تلعب فوق المروج، فراشات ملونة وعندليب بين السحاب ونهرا يجرى فيه زورق صغير، اشتد القصف فلملم أشياءه وعلم وطنه، اختبأ بالزورق سقطت فوقه قذيفة، سار نحو الشمس.

بين الحاء والباء

جاء إليها كطفل يداعبها بنظرات بها البراءة تمتزج بالحب، خبأته داخل ضلوعها وأغلقت عليه أبواب صدرها، شعر بالبرد أسدلت عليه ضفائرها، ورموشها وهمست بكلمات ناعمة، ذاب كقطعة حلوى، وحرارة الشوق بحروفها الملتهبة جذبته لصهيل إعلان فوزه بها.

نزع ثوب البراءة، وطلب مزيدا من الرقص حول النار، دارا دورتين ووقعا بشفتيهما وثيقة وردية بين الحاء والباء وبين ليلهما السرمدى تحت ضوء القمر.

حرية

أمسكت بكتابى لأقرأ، غلبنى النعاس، سقط الكتاب مفتوحا من يدى، تناثرت الكلمات والأحرف فرحا، امتد خيط من النجمات والفراشات المتشابهات باتجاه السحب خلف نافذتى، حتى القمر، ظلت تغنى أنشودة الحرية حتى الصباح.

نحو الغرب

سمراء كتمثال من خشب الأبنوس تفوح منها رائحة الفلفل الأسود، والبن اليمنى المحروق وملامح كهولة على وجهها الشاحب رغم سنواتها العشرين تحمل تابوتا بنصف يد وقدما عرجاء، لا تجد جدارا يستر أو خيمة ولا خبزا يسد رمق الخوف وصهيل الأحزان بجوفها محاط بنار وأشواك تنظر للسماء بعيون غارقة فى الدموع، تغلق نافذة الوجع، تحلق خلف سرب الطير المتجه نحو الغرب.

الوشاح الأزرق.. وحبات التوت

يداعبنى بحبات التوت كأنها لثم للثغر، بقطرات عسل تسيل على شفتى، ملأ كفيه بالزنابق والياقوت، رصع بها خصلاتى والجبين، ترك ذراعه فوق خصرى تنام، سرى الدفء تحت جلدى.

يلف تحت عينى وشاحه الأزرق، نطوف معا فى رقصة، بصوت يشبه القيثارة همس: يافاتنتى بعينيك يسكن خبزى والأغنيات.

فلا تسأليني تعقلا هذا المساء!

زخات

انهمر المطر من عينيها زخات متلاحقة، عندما رأتها تتأبط ذراعه ويدخلان بيته، ليتابع ما كان يفعله معها قبل أن يتركها لرصيف الألم بعدما تأكد له أنها لن تهبه ولدا يحمل اسمه.

من شابه أباه

صرخت بنت العشر سنوات وهى تعدو بين السيارات: أمى، وذاك الرجل السمين الغليظ الملامح يطاردها، ملوحا لها، سأقطعك إربا، وقفت له أمها تتصدى متسائلة:

- ماذا فعلت لك ؟

أجابها: سرقت إيراد المطعم.

ردت باستهزاء، من شابه أباه ما ظلم، أنسيت يوم سلبتنى شرفى، فجاءت للدنيا، وتركتنا نستجدى الطعام والكساء؟

برلمانى

ظل يدفع للفقراء، نقودا لينتخبوه، وما أن صار تحت القبة، حتى راح يطالب بتشريعات تفيد تجارته وأعماله، يعوض بها خسائره من دمائهم.

آخر ليلة

هذه الليلة الأولى بعد الألف، وقد انتهى شهريار، كما مل من الاستماع لشهر زاد.

أعلن أن على الحاجب البحث عن شاة جديدة، وكفاه ما سمع من حكايات بلهاء، سوقوا شهرزاد للذبح، توقف السياف يتأملها، راعه جمالها، لثم جيدها ثم أطاح برأسها فلم تشعر بألم.

أخيرا عرفت طعم النوم.

الفتنة لاتكفى

تروح وتأتى تستعرض قوامها وجمالها، أمامه، بخطى رشيقة وعطر يفوح، تمر جواره، تبحث عن أى سبب لبدء حوار خاص، يزيده إصرارا للتجاهل، بادرته متسائلة:

- ألا ترى فتنتى ؟

تبسم فى صمت ثم نقش كلمات فوق وريقه أمامه:

سيدتى يا أجمل من رأت عينى نعم فاتنة أنت، لكن فى الهوى لاتكفى فتنة الوجه لاختراق ضلوع، واحتلال قلب.

تلصص

من شرفته المطلة على نافذتها ضبطها تختلس النظرات إليه، تتفحص عضلاته وتفاصيل أخرى، هم أن يبادلها النظرات، حين تراجعت بخوف داخل غرفتها.

خلف جهازها تكتب لزوجها عبر الفيس: أمامك شهر ليس أكثر تنهى عملك وتعود، وإلا...

ثم رجعت تتلصص مرة أخرى.

إنسانية

جلس الطفل بثيابه البالية و حذائه المتهرئ عند أسفل قدميه يبكى، يطلب المغفرة، قرأ من دموعه ندمه لسرقته ذاك الرغيف الذى ابتلعه على عجلٍ ليسد رمقه، أراد أن يمد يده ليمسح على رأسه الصغير، أن يخبره أن ذلك السمين الجالس بالشرفة فى القصر المقابل، ينام ملئ جفونه، وخزائنه بها خبز، و قوت كل المساكين، لكن يده و شفاهه بقيت جامدة كما نحتها ذلك الفنان منذ زمن بعيد.

قراءة فى قصة «إنسانية»

للأديبة والكاتبة

السعربة الفاتحى

(المملكة المغربية)

تعود نشأة (ق.ق.ج) إلى العقود الأولى من القرن العشرين على يد الغواتيمالى أوكيشو مونتير – هو من أشعل أول شمعة لهذا الجنس الأدبى بإيحاء وتكثيف وإثارة و قفلة تدهش القارئ إلى حد الإبداع، اليوم بين أيدينا تحفة فنية من عوالم هذا الفن(ق.ق.ج)

«إنسانية» للكاتبة المصرية الدكتورة نجوى كامل التى تميز قلمها بالصرخة المدوية من عمق معاناة المواطن المصرى، حروفها مرآة شفافة تعكس الوضع المهترئ بالوطن العربى ككل، ضمن فاعليتها فى معالجة القضايا الإنسانية فى تنوير الفرد. الكاتبة دائما تصمد أمام كتلة الثرثرة الصماء داخلها لتنجب لنا نصا يصور حقيقة الأوضاع التى آلت إليها الأوطان العربية يكون الحبر سهما يمرق ذات الوطن ويشرب سواد قلوب الآدميين..

كما سبق وقرأنا لها في القصة الأولى (كل الكلام) التي فازت بالمرتبة الثانية ضمن فعاليات مؤتمر إسكندرية للقصة القصيرة جدا. وهي بمجموعتها الأولى «زمن لم يولد بعد» بنفس اللون والألم ترسم لنا لوحة أخرى يمحق الدمع عن سرر الرصيف ليعيد زرع بصيص الأمل بين النفوس الباردة والمخفية بين سطور اللامبالاة.

إنسانية..نبدأ أولا بالعنوان كعتبة النص.

جاء العنوان جملة اسمية وهي خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هذه» وتفيد الثبوت و السكونية والرغبة في ترسيخ البعد الإنساني في وجدان المتلقي، أما دلاليا فالعنوان يتشكل من كلمة واحدة، وهي جمع صناعي يدل على معنى مجرد، نتجرد فيه من الأنا إلى أنا الآخر ويفتح لنا جوهر الإنسان في كل إنسان يكون كل ما يرتبط بالجانب الآدمي الإنساني، يحيل إلى المحبة والتآخي والصفاء والبعد عن الحيوانية والوحشية والعنف والقسوة..

شخصية الطفل الأول ... باستهلال واضح و ملامح لا تخفى عن أي متلقٍ، فالحرف يحكي والدمع يتناوب رسم الصورة كما كثفتها الكاتبة بامتياز..

جلس الطفل – ثياب بالية – حذاء مهترىء

سرق الرغيف ابتلعه على عجلٍ ليسد رمقه

كل هذه التعبيرات الغاضبة تضفى على الصورة الواقعية لونا آخر يزيد من كشف ما وراء السطور ..

يوضح الطبقة الكادحة التى ينتمى لها الطفل والمكان الذى يحتضنه (الشارع) رغم صغر سنه وأقرانه بالمدرسة لتمارس على هذا الهيكل الضعيف كل أصناف الحرمان (غياب المدرسة ..عائلة ..اللعب ..إلخ)

شخصية الرجل السمين – فى القصر – ينام ملء جفونه– خزائنه بها خبز و قوت كل المساكين..

بين التناقضات الواضحة كالشمس نقف بين طبقتين:

البورجوازية المتسلطة المالكة الجشعة والطمع الزائد وعدم الإكتراث، والطبقة الكادحة المقهورة المتشردة بين غياب البعد الإنساني، مع وجوب الإستغلال والتسلط.

تبقى العلاقة الرابطة بين هاتين الشخصيتين هى علاقة صراع يترجم التناقضات الموجودة فى الوطن العربي.

– طفل الطبقة الكادحة – سرق..يبكى ويطلب المغفرة.

– رجل الطبقة البورجوازية – الجالس بالشرفة.... ينام ملء جفونه.

المفارقة العجيبة بين الضمير الكادح والبورجوازى والتفاوت المتباين فى رصد لغز الأنا وأنا الآخر.

الكادح يفكر بذنبه، مادام وظف فعل «فكّر» - أنا أفكر أنا موجود ... «Le cogito» لديكارت .رغم أن الفضاء المكانى الذى يحتضنه مفتوح (الشارع) حيث الفقر والتسول والتشرد وكل أدوات التعسف والتذلل...

والبورجوازى غائب عن الواقع - (الفضاء مغلق)

«قصر» ..متملص من المسؤولية اِتجاه ما يراه من نافذته ولايكترث بما يوجد بالعالم الخارجي.

التمثال فى وسط الشارع .. يده و شفاهه بقيت جامدة كما نحتها ذلك الفنان منذ زمن بعيد...

كان يستعد للحركة رغم أنه متجمد بالشارع ومنحوت بيد فنان. هنا نقطة مهمة تصف بها الكاتبة الوضع بالقصة لتجعل المتلقى يستوعب أن الظاهرة التى تحكى لنا عنها باتت تحرك الأصم والجامد لكن أصحاب الضمائر الغائبة تلهو ملء جفونها ولا تعترى الوضع اهتماما ..

اعتمدت الكاتبة على الماضى بحدة؛لأنه يساعدها على السرد والعودة إلى العوالم الداخلية للشخصيات.. جلس - قرأ - أراد - بقيت...

والزمن النفسى للشخصيتين: زمن الطفل الكادح هو زمن الضياع والتشرد والجوع رغم ذلك تتزامن معه صحوة الضمير.

وزمن الرجل السمين هو زمن التخمة والثراء واللامبالاة، وغياب فعل الصحو لديه مما يجعله نقطة غائبة عن قاموس الأفعال..

اعتمدت القاصة على آليات فنية فى بناء عالمها السردى منها الوصف.. الثياب = بالية – الحذاء = مهترئ، وصف دقيق لحالة البؤس والتشرد التى نراها بالشارع.

ذاك الرغيف الذى ابتلعه على عجلٍ ليسد رمقه. هنا تصف لنا الكاتبة حدة الجوع ودرجاته مادام فعل الأكل تم بعجالة..يبرهن أن الحدة كانت تفوق هيكله الضعيف، أحسنت الكاتبة فى وضع الرموز لتصف لنا حدة الفعل بدقة بالغة:

الرجل البورجوازى = سمين وصف يوجه المتلقى و يجعل كل الأضواء تركز على البورجوازية السمينة فى شخص طفل ينام ملء جفونه وخزائنه بها قوت كل المساكين، مازلنا على نقط الوصف التى تحكمت بها القاصة التى جعلت النص يضع يده على النقطة المهمة والتى جعلت المتسول يسرق خبزه وأيضا تمارس عليه كل أدوات الحرمات والرأسمالية المتوحشة تطل

عليه من بعيد لتشاهد التدهور وهى غير مهتمة بما حولها ولا يهمها سوى ملء بطونها بالمال العام ..

استعملت الكاتبة لغة واضحة وشفافة بعيدة عن التعقيد والرمزية جعلت الوصف يرسم لنا لوحة فنية أحسنت فى اختيار الألوان والأشكال والوضعيات ..

«أراد أن يمد يده ليمسح على رأسه الصغير.. لكن يده و شفاهه بقيت جامدة كما نحتها ذلك الفنان منذ زمن بعيد»

هنا بالشخصية الثالثة تحيرنا الكاتبة هل فعل المسح .. القصد منه هو تمثال يزين فضاء الشارع أم هى يد المسيح عليه السلام؟

اللغة هنا سرقت سكون القمة وجعلت اللفظ يسحب خيط الواقع الذى نراه ونعيشه ولا نعتريه أى اهتمام، كلنا نمجد للشهرة والطلعة، وننسى إخواننا فى فلسطين وسوريا وبورما و... واللائحة طويلة ..

يموتون جوعا وقهرا ونحن نتمتع بالملذات.

سأتوقف هنا والعبرات تخون ضعف حيلتي، كل المعانى والعبر تقف لحرفك أديبتنا الراقية نجوى كامل لك من الحبر قطوف دانية ومنابر لحرفك حانية.

الكاتبة فى سطور

د. نجوى كامل مواليد القاهرة.

بكالوريوس تجارة شعبة محاسبة / جامعة القاهرة.

دبلوما دراسات مصرفية جامعة عين شمس.

ماجستير تنمية بشرية جامعة بوسطن.

دكتوراة فى العلوم الانسانية.

ـ العمـــل :

استشارى برامج تنمية بشرية.

رئيس مجلس أمناء مؤسسة لوتس للتنمية الانسانية.

عضـو الاتحـاد الدولى للمـرأة الأفريقية عن محافظـة القاهرة.

خبـير واستشـارى تدريب معتمد بالاتحاد الـدولى للتدريب.

مدرب معتمد بنقابة مدربى التتنمية البشرية.

عضو بحزب المصرى الديمقراطى الاجتماعي.

محاسب بأحد البنوك المصرية.

صدر لها:

زمن لم يولد بعد، مجموعة قصصية.

روائع، قصص قصيرة جداً (مشترك).

مجموعة من القصص القصيرة جداً، ضمن الموسوعة النسائية للقصة القصيرة جداً (مشترك).

الفهرس

مقدمة ٥
نشوة ٧
قذيفة ٨
وردة اليتيم ٩
على رصيف الذاكرة ١٠
شَوْكُ الوردة ١١
إعادة إرسال ١٢
لوحة ١٣
إهداء ١٤
إلى زليخا ١٥
فى عز الظهر ١٦
فى سبيل العلم ١٧
بيع وشراء ١٨
رؤية ١٩
وسقط القناع ٢٠
ملامح ٢١
إعلان ٢٢
بائعة المناديل ٢٣
نقاش ٢٤
إرادة ٢٥
سرقة مشروعة ٢٦
مناظرة ٢٧
لم تقتنع ٢٨
لغة الإشارة ٢٩
فوبيا ٣٠
ذكاء مدير ٣١
حرمان ٣٢

بقايا عطر ٣٣
صديقتى من النجع ٣٤
لقاء مؤقت ٣٥
امرأة واحدة ٣٦
بلا جدران ٣٧
رفيقة المكان ٣٨
مقهى الجحيم ٣٩
علاقةهندسة ٤٠
تهنئة ٤١
يد خشنة ٤٢
شكوى ٤٣
حكاية ٤٤
رصاصة ! ٤٥
تصحيح بصر ٤٦
إبليس فى الإنعاش ٤٧
حياء وكبرياء ٤٨
حلم عبر الأثير ٤٩
لاتصدقيه ٥١
رشفة قهوة ٥٢
خبر ٥٣
بلاغ للنائب العام ٥٤
من أنا ٥٦
قبلة ٥٧
الموتى لايعودون ٥٨
أقدام وصهيل ٥٩
نقطة تقاطع ٦٠
إليك ٦١
رسائل لم تكتمل ٦٢
عالم الألوان ٦٣
دفتر الكلمات ٦٤
أول إمضاء ٦٥
حديث الأنامل ٦٦

كأنها لم تعرف الحزن ٦٧
قلت لها ٦٨
لست غبية ٦٩
مواعيد وهمية ٧٠
براءة ٧١
أصل الوجع ٧٢
حارتى ٧٣
كشف حساب ٧٤
غريب بالباب ٧٥
لاتنكر ٧٦
أمير البحر ٧٧
علامة تعجب !!! ٧٨
نحو الشمس ٨٠
بين الحاء والباء ٨١
حرية ٨٢
نحو الغرب ٨٣
الوشاح الأزرق.. وحبات التوت ٨٤
زخات ٨٥
من شابه أباه ٨٦
برلمانى ٨٧
آخر ليلة ٨٨
الفتنة لاتكفى ٨٩
تلصص ٩٠
إنسانية ٩١
قراءة نقدية لقصة إنسانية ٩٢
الكاتبة فى سطور ٩٩

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع